كتاب العدد

التأهيل النفسي والاجتماعي للطفل والمراهق❖

أعد المراجعة
الدكتور بدر الشيباني

كلية التربية - جامعة الكويت

محتويات الكتاب:

المقدمة:

تطرق الكاتب في مقدمته عن مدى فقر عالمنا العربي بصفة عامة والمجتمع اللبناني بصفة خاصة، للجهود الهادفة لموضوع تأهيل الجانح والمنحرف من الناحية التربوية والعلاجية. وقد تبنى الكاتب على حد تعبيره "المنهج الجدلي والنقاشي كأفضل وأحسن الأساليب(١)" في الكشف عن مظاهر سوء التكيف عند الطفل ووسطه الطبيعي العائل. كما يعتبر أن المربي، ويقصد المرشد النفسي في المؤسسة، كمعالج نفسي بطبيعة عمله والتصاقه اليومي بالحالة.

وقد قسم الكتاب إلى قسمين تناول المؤلف من خلالهما الموضوعات التالية:

القسم الأول: تناول "**المشكلات العامة لغير المتكيفين(٢)**" والتي حاول الكاتب من خلالها وضع أطر تعريفية موجزة لماهية غير المتكيفين وأساليب التأهيل الاجتماعي وأهدافه. ثم تطرق إلى "**تحديدات سريعة للا متكيف المتخلف في المنظور العربي واللبناني المحلي**" حيث استعرض الكاتب صعوبة تحديد مفهوم التخلف "البسيط" حسب المعايير الثقافية التقليدية أو

❖ تأليف د. محمد زيعور - الناشر: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. - سنة النشر: ١٩٩٣.

(١) الكلمات والجمل التي تقع بين أقواس صغيرة هي كلمات المؤلف.

(٢) كتبت عناوين موضوعات الكتاب بالخط الأسود.

"الشرقية بشكل واسع"، ومدى تناقض الحضارة الغربية بتقدمها التقني من اللا مساواة والعزل والإقصاء لهذه الفئة من الناس. في حين أن المجتمع العربي الإسلامي تميز عن المجتمع الغربي بطابع التسامح مع اللا سوي أو المجنون أو المتخلف عن طريق الاستشفاء في المستشفيات أسوة بباقي المرضى وعدم عزله عن العالم الخارجي الذي يختلف عن ممارسة الغرب في تعذيب المجنون وإساءة معاملته كما وصفها المؤلف. كما استعرض الكاتب تاريخيا اختلاف أسلوب معاملة المجانين بين الحضارة الغربية والإسلامية، محذراً الأطباء العرب أو المحليين اليوم من مغبة الوقوع في التناقض بين ما هو غربي بالمفهوم التقليدي وبين ما هو متعارف عليه من الواقع الاجتماعي والثقافي العربي مما يستوجب "التريث في إطلاق الأحكام العشوائية في التعامل مع المتخلف عقلياً لكي لا يصبح كل ما هو تقليدي وشرقي مرفوضاً ومنعوتاً بالمبتذل والمنحط والمتخلف، وخاصة كلمة **المتخلف** التي تطلق جزافاً على كل ما هو متخلف عن المعايير الغربية".

أما في موضوع "**ما معنى التكيف ومن هو اللا متكيف**" انتقل الكاتب إلى وضع أطر التكيف وتعريف موجز بمن هو اللا متكيف في محاولة لإضفاء طابع الحاضر على هذا المفهوم ومعانيه وما يحمله من مخاطر التعميم غير الموضوعي لأفراده. ثم انتقل بعد ذلك إلى نظرة التأهيل الاجتماعي لمفهوم اللا تكيف ومستوياته والتي تتلخص في المستوى البدني والعقلي ومستوى المعيار الاجتماعي اللذان يحددان مفهوم اللا تكيف.

أما في موضوع "**تمهيد في دراسة ظاهرة الجنوح والإنحراف**" فقد تطرق المؤلف بصورة موجزة على تشعب وتناقض الدراسات والنظريات التفسيرية لهذه الظاهرة. ثم ركز اهتمامه في "**التحقيق في الاتجاهات السيكولوجية المختلفة لدراسة الانحراف وكيفية التعاطي معه**" على استعراض بعضا من النظريات الحديثة في مجال الانحراف خاصة نظرية التحليل النفسي واتجاهات "المدرسة الكندية" في فهم الشخصية الجانحة والتي هي تفسير آخر لنظرية التحليل النفسي ووجهة نظر "المدرسة البلجيكية" في الدراسات الجنائية والتي تركز على المنهج الوجودي لديبووست في تفسير السلوك الجانح. أما في استعراضه "**لدور علم النفس في عملية التأهيل**" فقد أكد الكاتب إلى أن الإحباط إما أن يكون سببا أو يكون نتيجة لسوء التكيف لدى الفرد مما يتطلب دوراً فاعلاً لمؤسسات التأهيل في رد الاعتبار الذاتي للفرد الجانح عاطفياً ومهنياً. ثم تطرق إلى استراتيجيات التأهيل وعرف أربعة من أنظمتها، "النظام السلطوي أو القمعي" و"النظام التطوري" و"النظام الاجتماعي التربوي" و"النظام النفسي التربوي" وأساليب عملها. وقد قام الكاتب بتعريف التأهيل الكلي "**دور التأهيل الكلي ومفهومه في المجموعات التأهيلية**" والمقصود به حسب رأي الكاتب أنه طالما أن عمليات التأهيل الاجتماعي تتم داخل المؤسسة فكل تأهيل مؤسسي يعني تأهيل كلي نتيجة استخدام نظريات وطرائق عديدة مع المجموعات النزيلة. أما في "دراسة في المجموعات التأهيلية" فقد

تطرق المؤلف باختصار شديد إلى صفات وسمات الجانحين وطرق دخولهم المؤسسات التأهيلية. كما طرح في موضوع "التأهيل المؤسسي" بشكل موجز التفاعلات النفسية والاجتماعية لدى الطفل والوالدين عند دخول الابن للمؤسسة التأهيلية وردود فعل الوالدين تجاه طفلهم المعاق.

القسم الثاني: تناول الكاتب موضوع "**ما هي الشروط والدوافع للإدخال إلى المؤسسة، وما هو معاشهم**" والذي تطرق الكاتب من خلاله إلى مشكلة تكيف الطفل مع المجموعات التأهيلية والسن الواجب مراعاته للدخول في المؤسسة والنظم الإشرافية والمكانية والتنظيم الداخلي والأنشطة اليومية وتوفير الأطر المادية مثل الغذاء والنظافة والحماية والأطر المعيارية كمؤسسة اجتماعية تقوم على أسس إدارية وقانونية والأطر الاجتماعية متمثلة بالمنطلقات والأهداف الأيديولوجية والفلسفية والتربوية المتخصصة.

أما في"**الاتجاهات الأساسية في العمل التربوي النفسي**" فيركز الكاتب على دور المربي المتخصص العامل في المؤسسات التأهيلية كمسؤول ومشرف ومنظم للحياة اليومية داخل المؤسسة وقد عرف الكاتب اتجاه المربي نحو طفل المؤسسة كالتالي: ١- اتجاه القبول والإقدام. ٢- اتجاه الاستعداد للمساعدة والاستماع. ٣- اتجاه الالتزام بالمشاركة. ٤- اتجاه التقويم أو التقدير. ٥- اتجاه الجهد والاستمرارية. ٦- اتجاه مراعاة الفروق الفردية. وقد قدم الكاتب لموضوع "**التقييم أو التقدير**" استعراضا مختصر لما طرحه ردل (١٩٤٠) بخصوص عملية التقدير لشخصية الطفل أو الحدث. ثم يواصل طرح ردل في "**التأهيل الاجتماعي لدى الجانح**" فيما بعد.

ثم قدم أسباب القصور التكيفي عند الجانح ودور المربي في تأكيد نوعية العلاقة المطلوبة بن أفراد المجموعة التأهيلية في المؤسسة وتطرق بإيجاز إلى الأهداف والغايات والنشاطات المطلوبة في المؤسسة التأهيلية في "**معنى العملية التأهيلية التربوية**". واستعراض حالة جنوح الحدث دانيال كمثال للعلاقة التربوية التأهيلية الناجحة في "**دراسة حالة (دانيال)**". وكذلك تحدث بصورة قصيرة وموجزة عن أهمية النشاطات والبرامج التأهيلية المناسبة في المؤسسات العلاجية "**قيمة البرامج التربوية والمحيطية في العملية التأهيلية**". أما في موضوع "**هذا الطفل يبكي ويضحك لا حزنا ولا فرحا**" فيستعرض الكاتب كيفية تحقيق الغايات التأهيلية والمبادئ الأساسية في تطبيق البرامج المناسبة.

ثم يقدم "**دراسة حالة مستلة من كتاب (الولد العدائي) ضمن أجواء المؤسسة التأهيلية**" وهي عبارة عن دراسة حالة ثانية لطبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجموعة ودور المربي في المؤسسة للاستماع والإصغاء من أجل خلق علاقات تربوية ناجحة. ويسترسل الكاتب في شرح العلاقة التربوية من منطلق ردل الذي يتطرق إلى أن إسقاطات المشاعر والعواطف عند

الأطفال تساعد المربي على استغلالها في وضع أهداف تربوية تأهيلية مناسبة في "**العلاقة التربوية-الموقف التحويلي والموقف التأهيلي النفسي**".

وفي الختام يقدم الكاتب "**الاستمارة وأهميتها لفهم الوضعية الأسرية للطفل اللا متكيف أو المتخلف**" وهي عبارة عن استمارة تشمل معلومات أولية وتاريخ الطفل المرضي وأسباب وضعه في مؤسسة تأهيلية تستوفى من الوالدين. وفي "القسم الثاني من الاستذكار (الطبيب)" وهي كذلك عبارة عن استمارة تشتمل على أسئلة عن حالة الطفل تستوفى من الطبيب المعالج والمدرسين.

تعليق عام على الكتاب:

الكتاب بصورته النهائية يستعرض القصور الضمني في استقطاب وإرشاد الأحداث الجانحين والمنحرفين بين أفراد المجتمع اللبناني وإن أخذ طابع التعميم على المجتمعات العربية الأخرى. وهو عبارة عن استعراض للرأي حول هذه الفئة وطرق استيعابها في المنظومة الاجتماعية والتأهيلية، ومن خلال عرض المؤلف لموضوعات الكتاب طرح تساؤلات عامة في مجملها أخذت طابع الإثارة والتوجه نحو استقطاب رجل الشارع حول هذا الموضوع وما يدور في خلده من تساؤلات تجاه هذه الفئة وكيفية التعامل معها. فتقديم موضوع الكتاب بهذه النظرية العامية أفقد الكتاب عناصر أساسية في وضع المفاهيم العلمية الواضحة والأساليب الحديثة في التعامل مع هذه الفئة، كما افتقد الكتاب عنصر المقارنة الواقعية لظروف هذه الفئة الحالية وطرق علاجها على المستوى العربي بصفة العموم واللبناني بصفة الخصوص قبل الانتقال للمقارنة النظرية مع الواقع الغربي وأساليبه العلاجية التي اتصفت بالتقادم الزمني. لهذا أرى أن الكتاب ومحتوى موضوعاته ذات الطابع العامي ليست موجهة لفئات المجتمع ذات الممارسة والاختصاص في هذا المجال، كما أنه ونتيجة قصوره التعريفي العلمي الواضح لجوانب الفئة المقصودة بالدراسة لا يستوفي شروط اعتباره مرجعاً علمياً في الموضوع الذي بحث فيه.

سلبيات الكتاب:

في الفقرة التالية استعرض بعضا من الجوانب السلبية التي حفل بها الكتاب:

١- هناك خلط واضح بين سوء التكيف والمتخلف بالمفهوم العام! فتارة يتحدث عن المتخلفين البسطاء أو متوسطي التخلف وتارة أخرى يقارنهم بالمتخلفين عقلياً وسوء التكيف المدرسي! وحينا آخر يرى أن الطفل شديد الإعاقة العقلية والذي تصاحبه عيوب جسدية واضحة يختلف عن الطفل المصاب بتخلف بسيط وذو مظهر جسدي سوي! وذلك يجسد عدم وضوح المفاهيم العلمية لدى الكاتب، والتي برزت في النواحي التالية:

عدم التفريق بين متلازمة الداون (المنغولية) أو ما أطلق عليه الكاتب "المصابون

بالكروموزوم الثلاثي ٢١" وبين التخلف العقلي كما أسماه المؤلف! علماً بأن الدراسات والتقنيات الحديثة في هذا المجال قد أكدت أن هناك اضطراب آخر له علاقة بالكروموزوم الثلاثي ٢٣ ويطلق عليه متلازمة كلينفلتر (Klinefelter Syndrome) ووراثة ما يتعلق بإعاقات الـ (x) كروموزوم (Sex-linked inheritance)، إضافة إلى ما يسمى بـ (Fragile X syndrome) أو (ZYY syndrome). هذا من جانب، أما الجانب الآخر، فقد أطلق الكاتب مفهوم التخلف بصيغة العموم دون التحقق عن ماهية التخلف العقلي ومستوياته الأربعة المعروفة.

١- التخلف العقلي البسيط (Mild mental retardation - IQ 50-55 to 70) وهم ما نطلق عليهم تلاميذ صعوبات التعلم.

٢- التخلف العقلي المتوسط (Moderate mental retardation - IQ 35-40 to 50-55) وهؤلاء عادة يكونوا نزلاء المصحات العلاجية وتأهيلهم ينصب نحو العناية الذاتية بدلا من تطوير قدراتهم الذكائية.

٣- التخلف العقلي الحاد أو الشديد (Severe mental retardation - IQ 20-25 to 35-40) وهؤلاء لا يستطيعون الاهتمام بأنفسهم واتصالهم مع الآخرين قليل جداً وعديمي النشاط.

٤- التخلف العقلي العميق (profound mental retardation - IQ below 20-25) وهم يحتاجون إلى إشراف ورعاية كاملة في أنشطتهم.

ونرى هنا بوضوح عدم دراية الكاتب بالتخلف العقلي ومستوياته وخلطه الواضح بين مفهوم التخلف العقلي ومسبباته التي تؤكده العلوم الحديثه على أنها إما أن تكون نتيجة **ما قبل الولادة** (وراثية/ بيئية) **أو أثناء الولادة** (طريقة الولادة) **أو ما بعد الولادة** (حوادث في معظمها).

٢- عدم بيان مفهوم التخلف العقلي الذهاني (ويقصد هنا فصام الطفولة) والتخلف العقلي العادي كما أسماه الكاتب، ونعود إلى ما تطرقنا إليه سابقاً.

٣- عدم تفريق الكاتب بين تلاميذ القدرات العقلية الذكائية أو الدراسية (متفوقون أو تلاميذ نظريين) وبين عدم القدرة الذكائية أو الدراسية (صعوبات تعلم أو تلاميذ عمليين)، وكذلك نعود إلى ما تطرقنا إليه سابقاً.

٤- هناك أيضا خلط واضح في مفاهيم سيكولوجية التوافق ومعوقاتها والاضطرابات السلوكية (أو ما نطلق عليه اضطراب العادات)، والإعاقة العقلية الحسية أو الحركية كما سماها الكاتب والسيكوباثية.

٥- لم يبين المؤلف الفرق بين مفهومي التكيف والتوافق النفسي، فمن الواضح أن هناك فرقاً بين هذين المفهومين، حيث أن الأول يقصد به تكيف الفرد مع بيئته وهو مصطلح بيولوجي يعني كل تغير يطرأ على بنية أو وظيفة الكائن الحي من أجل المحافظة على

حياته من مخاطر البيئة المحيطة به، والفشل في تحقيق التكيف يعني تعرضه للفناء ويشمل كل أنواع النشاط التي يبذلها الفرد للتكيف مع البيئة المادية والاجتماعية. أما التوافق النفسي فيعني قدرة الفرد على تعلم الأساليب السوية والاستجابات السليمة التي تمكنه من تحقيق دوافعه وأهدافه بحيث يصل إلى خفض التوترات النفسية التي تتزامن مع متطلبات حاجاته قبل إشباعها، بمعنى آخر إحداث توازن نفسي بين الفرد وبيئته.

٦- في محاولة الكاتب "**تحقيق في الاتجاهات السيكولوجية المختلفة لدراسة الانحراف وكيفية التعاطي معه**"، نجد أن تحقيقه تركز حول نظرية فرويد "التحليل النفسي" وأبعادها بصفة أساسية وأخرى وجودية فقط وغفل النظريات الحديثة وإسهاماتها في هذا الموضوع.

٧- المراجع في متن الكتاب لا تحمل تاريخ كما هو معهود في الكتابات العلمية، إضافة إلى أن بعض الأسماء الموجودة كمراجع في متن الكتاب ليست مدرجة في صفحة المراجع.

٨- المراجع التي اعتمد عليها الكاتب في بحثه يشوبها القدم والنقص، مثلا:

١- أحدث مرجع يعود إلى ١٩٨٠ وهذه المراجع عربية لا تتحدث عن التأهيل المؤسسي للجنوح والانحراف بصفة خاصة.

٢- هناك ٦ مراجع بدون تاريخ.

٣- المراجع لا تتبع الترتيب الهجائي.

٤- أرقام المراجع لا تعود بالضرورة إلى تسلسل ورودها في الكتاب.